دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات قرانية: الأمثال فى القرآن: مثل الكلمة الطيبة
المصدر:	التوحيد
الناشر:	جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي:	البصراتي، مصطفى
المجلد/العدد:	س46, ع551
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	ذو القعدة
الصفحات:	14 - 16
رقم MD:	846888
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم، الأمثال القرآنية، الكلمة الطيبة، تفسير القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/846888

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأمثال في القرآن

مثل الكلمة الطيبة

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مَثَل آخر من الأمثال في القرآن، وهو في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (إبراهيم:٢٤، ٢٥).

المعنى الإجمالي:

شبَّه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضيٌ لله عز وجل ثمرة هذه الكلمة. (الجامع في أمثال القرآن لابن القيم ص١٢٥).

إنها الشجرة الطيبة أصلها ثابت راسخ، عميق الجذور، متماسك في الأرض مهما عصفت بها الرياح، واشتدت عليها الأنواء، وتقاطرت عليها من كل جانب الصواعق والعواصف فلا تؤثر فيها، ولا تهزّ أصولها، بل تظل قوية شديدة، شامخة الرأس، عالية الهامة فروعها في السماء، وأغصانها تمتد حتى تبلغ الجوزاء، لا تنحني ولا تميل، لا تضطرب ولا تهتز، وهكذا حامل كلمة الإيمان.

معاني المفردات:

ألم تر: بمعنى: ألم تعلم- وقال بعضهم: (ألم تر) بعين قلبك فتعلم علم يقين بإعلامي إياك- والاستفهام في «ألم تر» إنكاري نَزَّل المخاطب منزلة من لم يعلم فأنكر عليه عدم العلم، أو هو مستعمل في التعجب من عدم العلم بذلك مع أنه مما

تتوفر الدواعي على علمه، أو هو للتقرير، ومثله في التقرير كثير، وهو كناية عن التحريض على العلم بذلك.

كيف: هنا للدلالة على أن حالة ضرب هذا المثل ذات كيفية عجيبة من بلاغته وانطباقه.

ضرب الله مثلاً: أي اختار مثلاً وضعه في موضعه اللائق به.

وإسناد «ضرب» إلى اسم الجلالة لأن الله أوحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام. (الجامع في أمثال القرآن ص١٢٥).

كلمةً طيبة: قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيره: الكلمة الطيبة هي «لا إله إلا الله» مثلها الله بالشجرة الطيبة، وهي النخلة في قول أكثر المتأولين. (المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٣).

والطيبة: النافعة: استعير الطيب للنفع لحسن وقعه في النفوس كوقع الروائح الذكية.

كشجرة طيبة: وهي النخلة أفضل الأشجار وأحسنها وأقربها شبهًا بالمؤمن.

أصلها ثابت: وصف الشجرة بأن أصلها ثابت أي: راسخ آمن من الانقلاع بسبب تمكنها من الأرض بعروقها.

والفرع: ما امتد من الشيء وعلا، مشتق من الافتراع وهو الاعتلاء، وفرع الشجرة: غصنها، وأصل الشجرة: جذرها.

والسماء: مستعمل في الارتفاع، وذلك مما يزيد الشجرة بهجة وحسن منظر.

تؤتي أكلها: أي ثمرها.

كل حين: أي كل وقت، والحين في اللغة: الوقت يطلق على القليل والكثير، واختلفوا في مقداره.

بإذن ربها: أي بإرادته ومشيئته وأمره.

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون: في ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني وتقريب لها من الحس ومواعظ لمن تذكر واتعظ. (معاني المفردات مستفادة من تفسير ابن كثير، وفتح البيان لصديق حسن، والمحرر الوجيز لابن عطية بتصرف).

المعنى التفصيلي:

لما ذكر الله سبحانه مَثَل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح، ثم ذكر نعيم المؤمنين وما جازاهم الله به من إدخالهم الجنة خالدين فيها وتحية الملائكة لهم، ذكر تعالى هاهنا مثلاً للكلمة الطيبة وهي كلمة الإسلام أي: لا إله إلا الله أو ما هو أعمّ من ذلك من كلمات الخير، وذكر مثلاً للكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشر. (فتح البيان لصديق حسن ٣/٥٤٢).

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وهي مَثَل المسلم، حدِّثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجرة البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييتُ، فقالوا: «هي النخلة». قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحبُ إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا».

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كلمة طيبة» شهادة أن لا إله إلا الله، و«كشجرة طيبة» وهو المؤمن «أصلها ثابت» قول: لا إله إلا الله، في قلب المؤمن. «وفرعها في السماء» يقول: يُرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله".

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن فإنه سبحانه شبَّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًا التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة الصاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها.

فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها

التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبُهُ لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً.

فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلامًا كثيرًا طيبًا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح إلى الكلم الطيب كما قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ».

فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحًا كل وقت.

وقال الربيع بن أنس: "أصلها ثابت وفرعها في السماء"، قال: "ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له أصلها ثابت"، قال: "أصل عمله ثابت في الأرض وفرعها في السماء" قال: ذكره في السماء.

ولا اختلاف بين القولين والمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشبّهة به وهو مشبه بها وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك"، ومن قال من السلف: "إنها شجرة في الجنة؛ فالنخلة من أشرف أشجار الجنة". (الجامع في أمثال القرآن لابن القيم ص١٢٨).

من فوائد الآية:

١- أن كلمة التوحيد هي التي تربط الأرض بالسماء، وتجعل الكون كله وحدة موحدة تدين لخالقها طوعًا وكرهًا، وتسبّح بحمد بارئها صباحًا ومساءً بلسان الحال ولسان المقال.

٢- أنها مفتاح السماوات والأرض، بها كان الخلق وبها كان كل شيء في عالم الملك والملكوت، إنها الشجرة التي تمد المؤمنين بنورها الصافي كما جاء معنى ذلك في سورة النور في قوله تعالى: «مثل نوره..» إلى أن قال سبحانه: «لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» (النور:٣٥).

٣- جلال المعنى في قوله جل شأنه: «وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» (إبراهيم:٢٤)، فإنه يفيد أن السماء من أولها إلى آخرها ظرف لهذا الفرع الممتد، ولو قال إلى السماء لما أدى ذلك المعنى، ولم يقل: وفروعها، بل قال: «فرعها» لمناسبة كلمة التوحيد، وليرتبط اللفظ بالمعنى، كما نلاحظ ذلك في مناسبة الألفاظ للمعاني في مثل قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» (المزمل:٩)، فقد وحد المشرق والمغرب لمناسبة الوحدانية هناك، بينما جمعهما في آيات أُخَر فقال في سورة المعارج «أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ» (المعارج:٤٠)، ليناسب قوله تعالى: «مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» (المعارج:٣) ليناسب قوله: «رَبُّ الْمَشَارِقِ» وقال: «وَرَبُّ الْمَشَارِقِ» (الصافات:٥).

وقال: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» (الرحمن:١٧) في سورة الرحمن؛ لأن الخطاب في السورة للجن والإنس، فثناهما مراعاةً لتثنية الخطاب، فتأمل ذلك وقس عليه.

٤- قوله تعالى: «تُؤْتِي أُكُلَهَا» (إبراهيم:٢٥) أقوى دلالة من قوله: «تؤتي ثمرها»؛ لأن الثمر قد لا يؤكل لمرارته مثلاً، وفي قوله: «بِإِذْنِ رَبِّهَا» (إبراهيم:٢٥)، إشارة إلى أن كل شيء في هذا الكون لا يقع إلا بإذنه، وأن الزارع مهما بذل في الأرض من جهد، ومهما كان لديه من خبرة في شئون الزراعة فإنه لا يستطيع أن يُخرج من الأرض حبة واحدة، كيف وهو لا يعلم أين استقرت عندما بذرها، ولا يعلم متى تخرج وكيف تخرج وكيف تنمو وتترعرع، لا علم لهم بشيء من ذلك، وبالتالي لا يكون له قدرة على إنبات حبة في الأرض مهما بذل من جهد وخبرة.

قال الله تعالى: «أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ» (الواقعة:٦٣- ٦٤). (الفوائد مستفادة من كتاب الأمثال القرآنية للدكتور محمد بكر إسماعيل).

والحمد لله رب العالمين.